وقلبه مطمئن بالايمان الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم قالت الاعراب آمنا
قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات
فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن وقال النبي عليه السلام اللهم ثبت قلبي على دينك وقال
في قلبه مثقال ذرة من الايمان اكدته ثم قد يستدل بوجهين احدهما انه لو كان
الايمان هو القول لما كان المكلف مؤمنا حقيقة الا حال التلفظ لانقضاء القول بعد تحققه والتصديق
حاصل باق في القلب حتى حال النوم والغفلة الطارئان ضده الذي هو الكفر واجيب بعد تسليم
كون اسم الفاعل حقيقة في الحال دون الماضي بان المؤمن بحسب الشرع اسم لمن تكلم بما يدل
على التصديق الى ان يطرأ ضده وثانيهما انا لو فرضنا عدم وضع لفظ التصديق لمعنى او وضعه
لمعنى آخر لم يكن المتلفظ به مؤمنا قطعا واصحابهم لا يمنعون ان الايمان هو التلفظ بهذه
الحروف كيف ما كانت بل التلفظ بالكلام الدال على تصديق القلب انما الفاظ كانت او اية
حروف من غير ان يجعل التصديق جزءا منه واما اصل انه اسم للمقيد دون المجموع تمسك الجبائي
بوجهين احدهما قوله تعالى فاثابهم الله بما قالوا جنات رتب ثواب الجنة على القول قلنا
ان كانت ما موصولة فالمقول بالتحقيق هو المعنى وان كانت مصدرية فالقول ان حمل على اللفظي
فالثواب عليه لدلالته على وجود المعنى في النفس وان حمل على النفسي فهو نفس التصديق ويدل
على ما ذكرنا قوله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار حيث ترتب على القول الخالي عن تصديق
القلب العقاب بالنار والمنافي ايضا لا يخالف في ذلك قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله
وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين حيث نفى الايمان عمن اقر باللسان دون القلب وثانيهما ان
النبي عليه السلام ومن بعده كانوا يكتفون من كل احد بمجرد الاقرار والتلفظ بكلمتي الشهادة
حتى ان اسامة حين قتل من قال لا اله الا الله ذاهبا الى انه لم يكن مصدقا بالقلب انكر عليه النبي
عليه السلام وقال هلا شققت قلبه وقال عليه السلام امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا
الله فاذا قالوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم قلنا هذا في حق احكام الدنيا والنزاع
في احكام الآخرة واذا تاملت حديث اسامة تجده لنا لا علينا قوله المقام الثاني
ان الايمان في اللغة التصديق تنصيصا من النقل عن اهل اللغة وذلك موارد الاستعمال
ولم ينقل في الشرع الى معنى آخر اما اولا فلان النقل خلاف الاصل لا يصار اليه الا بدليل واما
ثانيا فلانه كثر في الكتاب والسنة خطاب العرب به بل كان ذكره اول الواجبات واساس

المشروعات فامتثل من امتثل من غير استفسار ولا توقف الى بيان ولم يكن ذلك من
الخطاب بما لا يفهم وانما احتيج الى بيان ما يجب الايمان به فبين وفصل بعض التفصيل حيث قال النبي
عليه السلام لما سئل عن الايمان الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الحديث
فذكر لفظ تؤمن لتعويله على ظهور معناه عندهم ثم قال هذا جبريل اتاكم يعلمكم دينكم
ولو كان الايمان غير التصديق لما كان هذا تعليما بل تلبيسا واضلالا نعم لو قيل
انه في اللغة لمطلق التصديق وقد نقل في الشرع الى التصديق بامور مخصوصة فلا نزاع ولذا
المقصود انه تصديق بالامور المخصوصة بالمعنى اللغوي وهو ما يعبر عنه بالفارسية
بكرويدن وراست كوي داشتن ويقابله التكذيب ويقابله التوقف والتردد ولذا
اختار العلماء في الفاظ الايمان كرويدن باور داشتن راست كوي داشتن بدل
وانه معنى واضح عند العقل يشتبه على العوام فضلا عن الخواص والمذهب انه غير العلم و
المعرفة لان من الكفار من كان يعرف الحق ولا يصدق به عنادا واستكبارا قال الله تعالى
الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون
وقال وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون وقال
وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقال حكاية عن موسى عليه السلام لفرعون
لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر فاحتيج الى الفرق
بين العلم بما جاء به النبي ومعرفته وبين التصديق به ليصح كون الاول حاصلا للمعاندين
دون الثاني وكون الثاني ايمانا دون الاول فاقتصر بعضهم على ان ضد التصديق هو الانكار والتكذيب
وضد المعرفة النكارة والجهالة واليه اشار الامام الغزالي رحمه الله حيث فسر التصديق
بالتسليم فانه لا يكون مع الانكار والاستكبار بخلاف العلم والمعرفة وفصل بعضهم زيادة
تفصيل فقال التصديق عبارة عن ربط القلب على ما علم من اخبار المخبر وهو امر كسبي يثبت باختيار
المصدق ولذا يؤمر به ويثاب عليه بل يجعل راس العبادات بخلاف المعرفة فانها ربما تحصل
بلا كسب كمن وقع بصره على جسم فحصل له معرفة انه جدار او حجر وحققه بعض المتاخرين زيادة
تحقيق فقال المعتبر في الايمان هو التصديق الاختياري ومعناه نسبة الصدق الى المتكلم
اختيارا وبهذا القيد يمتاز عن التصديق المنطقي المقابل للتصور فانه قد يخلو عن الاختيار
كما اذا ادعى النبي النبوة واظهر المعجزة فوقع في القلب صدقه ضرورة من غير ان ينسب

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)